

فدك في التاريخ

[52] الكلمة النبوية التي كانت وعدا قاطعا بفتح بلاد كسرى وقيصر (1) اهتزت له قلوب المسلمين حماسة وأملا بل إيماننا وبقينا، ويحدثنا التاريخ أن كثيرا ممن اعتزل الحياة العملية بعد رسول الله لم يخرج عن عزلته إلى مجالات العمل إلا حين ذكر هذا الحديث النبوي، فقد كان هو والأيمان المتمركز في القلوب القوة هيأت للحرب كل ظروفه وكل رجاله وإمكانياته. وأمر آخر هيا للمسلمين أسباب الفوز، وأنالهم النصر في معارك الجهاد لا يتصل بحكومة الشورى عن قرب أو بعد، وهو الصيت الحسن الذي نشره رسول الله للأسلام في آفاق الدنيا، وأطراف المعمورة، فلم يكن يتوجه المسلمون إلى فتح بلد من البلاد إلا كان أمامهم جيش آخر من الدعايات والترويجات لدعوتهم ومبادئهم (2). وفي أمر الفتوحات شيء آخر هو الوحيد الذي كان من وظيفة الحاكمين وحدهم القيام به دون سائر المسلمين الذين هيئوا بقية الأمور وهو ما يتلو الفتح من بث الروح الإسلامية، وتركيز مثاليات القرآن في البلاد المفتوحة، وتعميق الشعور الوجداني والديني في الناس الذي هو معنى وراء الشهاداتتين، ولا أدري هل يمكننا أن نسجل للخليفيتين شيئا من البراعة في هذه الناحية، أو نشك في ذلك كل الشك كما صار إليه بعض الباحثين، وكما يدل عليه تاريخ البلاد المفتوحة في الحياة الإسلامية. لقد كانت الظروف كلها تشارك الخليفيتين في تكوين الحياة العسكرية المنتجة التي قامت على عهدهما، وفي بناء الحياة السياسية الخاصة التي اتخذهاها.

(1) راجع: تاريخ الطبري 2: 92. (2) راجع:

فتوح البلدان: 44، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 16: 210.